مكتبة المقتطف

ابراهيم باشا في سوريا

تأليف سليمان بك ابو عز الدين — صفحاته ٣٤٤ مصورة — طبع بالمطبعة العلمية ببيروت

لقد اسدى سليمان بك ابو عز الدين خدمة جليلة لتاريخ الشرق الادنى في الحقبة التي وقعت فيها غزوة جيوش محمد علي لسوريا . وجعل الذين يقرأون صفحاته يشعرون انهم يطالعون تاريخاً محصاً ملخصاً من مئات الروايات والمؤلفات تتبع فصولهُ بعضها بعضاً كانها الحلقات المترابطة في سلسلة تامة التكوين. وقد جعلهُ « تاريخ بدء النهضة الحديثة في الشرق الادنى واحوال سوريا في عهد محمد علي وثورات السوريين ودروز حوران على حكومته وصفحة من تاريخ المسألة الشرقية ومطامع دول اوربا في البلاد العثمانية »

***

وقف المؤلف الفصول الاولى من كتابهِ على زحفة محمد علي باشا وطموحهِ الى التوسع والاستيلاء على سورية . وبيان اسباب الحملة على سوريا — كطموحهِ لتوسيع دائرة حكمهِ وتوطيد اركانهِ باستخدام ما في سوريا من خيرات ورجال وبابعاد خاصة بلاده عن الحدود العثمانية واقامة حاجز حصين بينهما .. (ص ٥١) وكيف توثقت الرابطة بينهُ وبين الامير بشير الشهابي ويلي ذلك فصلان احدهما يشتمل على وصف حالة سوريا بوجه خاص والسلطنة العثمانية بوجه عام حين بدأ عزيز مصر في تنفيذ عزمهِ والآخر على موازنة بينهُ وبين السلطان محمود الثاني والعوامل السياسية والاجتماعية التي نصرت الاول وخذلت الثاني . وقد نشرنا هذا الفصل برمتهِ في مقتطف يونيو الماضي ص ٣٠ ومنهُ يتضح للقارىء اسلوب المؤلف في استنباط الحقائق التاريخية وسوقها في بلاغة تواتيها سهولة التعبير ووضوح المعنى

ثم عرض للمعارك المختلفة التي خاضتها جيوش محمد علي واساطيلهُ من حصار عكا وفتحها الى معركة الزراعة التي كانت على صغرها — معركة فاصلة لان انتصار ابراهيم باشا فيها شدّد عزائم جنودهِ ومحالفيهِ ونزع الشكوك من نفوس المترددين الذين كانوا يرتقبون رجحان احدى كفتي الميزان . . (ص ٨٣) ثم الى فتح دمشق في ١٦ يوليو سنة ١٨٣٢ الى موقعة حمص الى احتلال حلب في ١٥ يوليو سنة ١٨٣٢ الى معركة بيلان

٢٩ يوليو سنة ١٨٣٢ (ويلان مضيق واقع على طريق القوافل بين حلب والاسكندرونة) الى معركة قونية في ٢١ دسمبر ١٨٣٢ التي اسر فيها رشيد باشا الصدر الاعظم وقائد الجيوش العثمانية العام واصبح بعدها ابراهيم باشا وكأنهُ على ابواب الاستانة

هذا الجزء من الكتاب يصح ان يدعى الجزء الحربي وفيه وصف المعارك المذكورة وغيرها وصفاً حربيًّا دقيقاً بطالعهُ القارىء متشوقاً لمعرفة ما تكشف عنهُ المعركة من مصير الجيشين المتحاربين وضلعهُ في الغالب مع ابراهيم باشا لما يبديه من الحنكة والبسالة

ولما توغل ابراهيم باشا في الاناضول بلغ النزاع بين السلطان محمود ومحمد علي درجة دقيقة جدًّا جعلتهُ ذا صبغة سياسية عامة واصبحت تسويتهُ خاضعة لمقتضيات السياسة الاوربية. هنا يتم الجزء الاول من الكتاب وهو يشتمل كما تقدم منا على ترجمة محمد علي واستعداده لغزوة سوريا وتفاصيل هذه الغزوة

اما فصول الجزء الثاني فتشتمل على وصف مسهب لحكومة محمد علي في سوريا وترتيباتها الادارية والقضائية والمالية والثورات التي عقبتها التي نشأت عن اوامر محمد علي القاضية باحتكار تجارة الحرير وتحصيل الفرده اي فريضة الرؤوس ونزع السلاح واجراء التجنيد بزيادة الضرائب واهمها ثورة فلسطين والاضطراب في الشام — في طرابلس وعكاء وصافيتا والحصن — وثورة النصيرية (وقد وقعت كلها سنة ١٨٣٤) ثم ثورة دروز حوران (سنة ١٨٣٨) وقد تلا ذلك حوادث سياسية ووقائع حربية خطيرة لا مكان لذكرها

وبالجملة فان كتاب ابو عز الدين بك تاريخ نفيس تقرأهُ فيأخذ بمجامع قلبك كالرواية الشائقة وتعهد معانيهُ بالتمحيص والتدقيق فتجدها مستمدة من مؤرخي العرب والفرنجة بعد احكام العقل في رواياتهم واستنباط الحقائق بالقياس والموازنة

طرابلس الفيحاء

تراجم علمائها وادبائها

تأليف عبد الله حبيب نوفل — صفحاته ٣٠٠ قطع المقتطف — طبع بمطبعة الحضارة بطرابلس الشام

تراجم الراحلين من العلماء والفضلاء تراثٌ يهتدي به الناشئون . اذ ليس اوقع في نفس الناشيء من الاطلاع على ما في سير الرجال من الفضائل والمناقب فيدرك ان العلى لا تنال الا بالكد والمثابرة وسهر الليالي . وهذه الحقيقة اصبحت من الاركان التي تقوم عليها نزعة خطيرة من نزعات التربية الحديثة . فمدرسو العلوم يرون ان التلميذ المبتدىء لا يستطيع ان يدرك مبادىء العلوم مجرَّدة فيعتمدون الى تجسيمها وضرب الامثلة عليها .

وهم يريدون ان يقرؤه كذلك بالاكباب على درسها فيسردون له سير العلماء الذين كشفوا مبادئها وما لاقوه في حياتهم من المشاق — كضعف الصحة وقلة المال وتنديد المزاحمين بسلمهم — وكيف تغلبوا على كل ذلك . فيشغف التلميذ بما في الترجمة من عناصر الرواية الاخاذة فيقبل عليها اقبال الظمآن على الماء لانها فعلاً تروي ظمأه النفسي فتحبب اليه العلم الذي اشتغل به ذلك الرجل وتغريه بدرسه

وطرابلس من اشهر مدن الشام بعلمائها وادبائها ووفرة المتعلمين فيها من قديم الزمان « وحسبك ان عالماً كابي العلاء تلقى العلم فيها » . وقد قال الدكتور كريليوس ڤانديك « ان طرابلس بلدة العلم والعلماء » . لذلك نرحب بهذا الكتاب النفيس الذي يحتوي على تراجم نحو مائة وخمسين عالماً وادبياً من علماء الفيحاء وادبائها . وقد احسن المؤلف في اختيار الذين لبّوا دعوة ربهم لان ترجمة الاحياء محفوفة بالمصاعب اهمها تعذّر التجرّد في التقدير والنقد لصداقة او نفار بين الكاتب والمترجَم

والكتاب اقرب ان يكون معجماً للادباء والعلماء الطرابلسيين المترجين منه الى كتاب سيَر "Biography" تغلب عليه الصبغة المدرسية التهذيبية التي قدمنا ذكرها في هذا الكلام . وحبذا الحال لو اختار المؤلف عشرة او عشرين من المترجين في هذا الكتاب وتوسع في كتابة سيرهم حتى تشمل السيرة ٢٠ صفحة مثلاً لكي يتسع امامه مجال التحليل والتصوير — تحليل الصفات والمناقب التي امتازوا بها وتصوير آثارهم في ميدان الفكر الذي جالوا فيه . اننا لا نحط المعاجم قيمتها وفائدتها ولكنها تخلو من شملة الحياة تتلظى في سطورها . وهذا ما يطلب لاغراء النشء بالمطالعة . فاذا كان القصد من الكتاب جعله مرجعاً يرجع اليه فؤلف الاستاذ نوفل من خيرة المؤلفات في موضوعه واذا اردنا به ان تبث في نفوس اولادنا واخوتنا حب التاريخ القومي والاعتناء بسير رجاله فيجب ان يعاد النظر في بعض السير المقتضبة التي نشرت فيه . وللكتاب مقدمة حسنة في تاريخ الفيحاء من اقدم الازمنة الى الآن

خطط الشام

دائرة معارف تاريخية — بقلم الاستاذ كرد علي — الجزء السادس — صفحاته ٤٢٨ قطع كبير ثمنه ٣٠ قرشاً — طبع بمطبعة المفيد بدمشق — يباع في المكتبة السلفية بمصر

اطلع قراء المقتطف على طائفة مختارة من مباحث هذا الجزء وكونوا لانفسهم فكرة صادقة عن موضوعاته واسلوبه وبه انتهت اللجنة التي أُلفت لنشر الخطط من عملها واعلنت عن عزمها على نشر معجم الخطط في وصف البلدان والقرى والجبال والاودية

والانهر والبحيرات وغير ذلك وهي مؤلفة من حضرات السادة بدر الداغستاني وخليل مردم بك وسامي العظم وفخر البارودي وفوزي الغزي ولطفي الحفار فترجو ان توفق في نشر المعجم كما وفقت في نشر الخطط

ولقد تيسر لحضرة الاستاذ الكبير محمد كرد علي بك وزير معارف سورية ورئيس المجمع العلمي العربي ما لا يتيسر لغيره من وفرة المراجع فضلاً عما يؤثر عنهُ من دقة في البحث وانصاف في الحكم وتحري الحقائق وسعة في المعلومات والمعارف مما جعل خططهُ في مقدمة الموسوعات التاريخية الموثوق بها

وباحث هذا الجزء خاصة بالتاريخ المدني ففيهِ وصف مسهب للبيع والكنائس والديرة ومنشئها واعظمها واقدمها ووصف اشهرها في البلاد الشامية وعمل الرهبان والراهبات . والمساجد والجوامع في اول الفتح واشهرها في البلاد الشامية . والمدارس ودور القرآن والحديث ومدارس المذاهب الاربعة والمدارس الحديثة والطبية وغيرها والخوانق والربط والزوايا والمستشفيات والبيمارستانات ودور الآثار والمتاحف . ودور الكتب والاديان والمذاهب واديان القدماء . والاخلاق والعادات عند الدمشقيين والحلبيين واللبنانيين وغيرهم . وفي نهاية الجزء سيرة مؤلفه الفاضل بقلمهِ وحسب القارئ هذه المباحث وما تفرع عليها ليدرك قيمة الكتاب مما لا يتيسر للباحث الوقوف عليها الا في كتب متفرقة

وللاستاذ كرد علي كلمة تلهف فيها على العبث بالمدارس وغيرها . فبعد ما التى اللوم على الحكومات والامة الذين سهلوا للعابثين والسارقين والمقوضين لتلك المدارس والعاملين على انتهاك حرماتها عمهم قال :

« اضاع الخلف ما ابقاه السلف معموراً زاهراً من المدارس التي كانت في العصور الغابرة غاية ما وصل اليهِ العقل البشري ظرفاً ومظروفاً وبها اثبت اجدادنا قبل القرون الوسطى انهم كانوا شيئاً مذكوراً في اتقان الهندسة والبناء وانهم على جانب من سلامة الذوق وانهم حراص على مجد امتهم وان الاعمال العظيمة لم تقم بنفسها لو لم تفكر فيها عقول كبيرة وما كانت تلك المدارس تعمر لو لم يدرس فيها نوابغ من رجال العلم والآداب ولو لم تكن ذات قانون معقول . نعم لم نعرف سر هذه الصناعة التي مثلها لنا هذه المدارس ولعلهُ يقوم في الجيل المقبل من ابنائنا علماء بالآثار والبحث يكشفون سر اعمال الاجداد كما توفر علماء الآثار في اوربا مائة سنة حتى كشفوا لامتهم اسرار البيع العظمى التي قامت في قارتهم خلال القرون الوسطى ، وعسى ان يبرهن الباحثون منا انهُ لم يقم في الارض

شيء من العظمة الاكان الى جانبه عظماء يتعهدونهُ ويعذونهُ بعادة عقولهم ، ويفيضون عليه من معين قرائحهم »

هذا ونود ان تلفت نظر اعضاء اللجنة التي وقفت على نشر الخطط ومؤلفها الفاضل الى انهُ كان يحسن عمل فهرس عام للخطط كلها ليسهل على الباحث الوصول الى غرضه في اقرب وقت وعسى ان ينشروا هذا الفهرس في كراس خاص قريباً ليتم عملهم المفيد فهذا امر لا غنية عنهُ اذا اريد استكمال الفائدة والله الموفق م . ر

جغرافية مصر في العهد العربي

ظهر القسم الثاني من الجزء الاول سنة ١٩٢٨ من كتاب جغرافية الوجه البحري المعروف عند جغرافيي العرب باسم اسفل الارض اخرجهُ الامير الجليل عمر طوسون للناس كتاباً علمياً حافلاً جديراً بان يحمل اسمهُ الكريم

يبدأ هذا القسم الثاني بالفصل الثالث متكلماً عن عصر المديريات الكبرى بعد ما تقدم له بمقدمة عن التغير الاخير الذي حدث من الوجهة الادارية في التقسيم الجغرافي بالوجه البحري اثناء حكم العرب . وفي الحق ان هذا القسم ظل معمولاً بهِ لغاية الوقت الحاضر الا في اختلاف قليل ضئيل. يقول سمو الامير ، نعرف تاريخين حصل فيهما هذا التغير :—

الاول — الروك الحسامي الذي تم في مدة تملك السلطان المنصور حسام الدين لاجين سنة ٦٩٧ هـ (١٢٩٨ م) وقد تكلم عنهُ المقريزي في الجزء الاول صحفة ٨٨ حيث قال ان المنصور امر بمساحة اراضي مصر . كذلك قال ابن اياس (جزء اول ص ١٣٧) انهُ في سنة ٦٩٧هـ أمر بمساحة الاراضي وهو المعروف بالروك الحسامي حيث بدئ بهِ في ٦ جمادى الاولى سنة ٦٩٧ (٢٠ فبراير سنة ١٢٩٨) وكان الرئيس المدعو التاج الطويل الذي شرع بعمل الكشوف المبين بها مسافة اقسام البلاد المختلفة واسماؤها

الثاني — الروك الناصري الذي أمر بعمله السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٥هـ (١٣١٥ م) وقد ذكره المقريزي في الجزء الاول ص ٨٨ واشار اليهِ ابن اياس (اول: ١٥٩) في حوادث سنة ٧١٥ للهجرة و ١٣١٥ م

ومن المهم ان يذكر عدد الاقاليم وتقسيم المديريات حسب الترتيب الهجائي اخذاً عن كتاب التحفة السنية باسماء البلاد المصرية للشيخ الامام شرف الدين يحيى بن المقرّ بن الجيعان مستوفي ديوان الجيش المتوفى في جمادى الثانية سنة ٨٨٥ (اضطلس سنة ١٤٨٠م) وهي:

١ — البحيرة — ٢ — الدقهلية — ٣ — ضواحي ثغر دمياط — ٤ — ضواحي

ثغر الاسكندرية — ٥ — ضواحي القاهرة — ٦ — الغربية — ٧ — جزيرة بني نصر — ٨ — القليوبية — ٩ — المنوفية — ١٠ — قوة والمزاحمتين — ١١ — استراوه — ١٢ — الشرقية . وهكذا اصبحت الاقاليم الصغرى التي كان عددها ٢٢ مجتمعة في ١٢ اقليماً

(١) فالبحيرة كان بندرها دمنهور (٢) والدقهلية مع المرتاحية مجتمعتين بندرها المنصورة طناح او اشمون الرمان (وكان مركز ميت غمر الحالي وجزء من مركز السنبلاوين تابعاً للشرقية) (٣) ضواحي ثغر دمياط بندرها دمياط (٤) ضواحي ثغر الاسكندرية مع رشيد وشاطئ البحر الى ادكو شرقاً وغرباً لوبيا وبوق وسترويا (بواحة سيوة) بندرها الاسكندرية (٥) ضواحي مصر بما جاورها شمالاً وعاصمتها القاهرة (٦) الغربية كانت مكونة حسب التحديد الوارد في الجزء الخامس من كتاب الانتصار لابن دقماق من جزيرة قويسنا والسخاوية والتمريسية والطنطيدتوية والسمنودية والدنجوية والمنهورية (وقال القلقشندي في صبح الاعشى بمحو نستراوه) وبندر المدبرية المحلة الكبرى (٧) جزيرة بني نصر دخلت في زمام المنوفية كما قال القلقشندي وكان بندرها ابيار (٨) القليوبية كما هي الى اليوم وبندرها قليوب (٩) المنوفية كما هي واضيف اليها بعد سنوات جزيرة بني نصر وبقي بندرها منوفية كما كان في العصر الذي قبله

(١٠) قوة والمزاحمتين كما هي (والحد الفاصل كما يقول القلقشندي بينها والبحيرة ترعة الاسكندرية) بندرها قوة (١١) استراوه كما كانت في العصر السابق ولكن اقليم رشيد ضم الى استراوه التي اختفت واختفت بعد ذلك بالغربية وكان بندرها استراوه (١٢) الشرقية كما كانت وانضمت اليها القاقوسية وبقي بندرها بلبيس

بعد ذلك اتى سمو الامير بجداول مفيدة عن المساحات المزروعة واموالها بلغ ١٦٤٠ ناحية لم يجهل مربوط المال في غير ٢٩ ناحية منها وفي نهاية الكتاب خرائط ملونة بديعة لاسفل الارض حسب الروك الناصري وخريطة للمديريات واخرى للمراكز مما يزيد في قيمة المؤلف الجامع المانع بارك الله في همة سموه وكل عامل مجتهد توفيق اسكاروس

الشيخ محمد عبده

تأليف الاستاذ احمد الشايب — صفحاته ٦٤ من القطع المتوسط — طبع بمطبعة الاسكندرية بالمطارين

يعد الاستاذ احمد افندي الشايب — استاذ الادب العربي بالمدرسة العباسية الثانوية — من خيرة كتاب مصر المتذوقين لجمال الادب العربي الى جانب شغفه بالادب الاوربي مما

ساعدهُ في دراساته المتنوّعة المنشورة في الكتب والمجلات على ان يتحفنا بالشائق من الاسلوب انصافي ، وبالمتع من نظراته الادبية الحرّة . ومن انفس ما قرأناه لهُ من الدراسات الادبية مقالاته النقدية للغزل في تاريخ الادب العربي للبهاء زهير وابن حمديس والشريف الرضي فضلاً عن الشعراء المعاصرين . وقد اتحف الادباء اخيراً بدراسته للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، وهي دراسة تاريخية ادبية صرفة لعلّها الاولى من نوعها من مشربها ومنهجها باسلوب سلس رائق جدير بفضل الاستاذ المؤلف ومنزلة المترجم لهُ . وما لشك في ان كتابهُ سيقرأ باهتمام وتقدير في البيئات الادبية كما يُعنى بدراسته في معاهد العلم . وهو مطبوع طبعاً فاخراً ومصدّر بصورة الاستاذ الامام

عوائد العرب

تأليف المرحوم الخوري بولس سيور اليوناني — صفحاته ١٦٩ — طبع بمطبعة القديس بولس بحريصا لبنان

يشتمل هذا الكتاب النفيس على دروس اخلاقية وكتابية نفيسة ، حوت في تضاعيف سطورها ايضاحات دقيقة وفوائد جمة في عادات العرب ووجوه التشابه التي بينها وبين عادات الشعب الاسرائيلي قديماً . وهو مما لا يستغني عنهُ كل من اكبَّ على مطالعة الكتب المقدسة او احب الاطلاع على اخلاق فريق من ابناء البلاد السورية وعاداتها

ومن الموضوعات التي طرقها المؤلف عادات العرب في الطعام والمسكن واللباس والزواج والمرأة والقبائل والقضاء والحماية وما يقابل ذلك عند اليهود معززاً بالشواهد والاسانيد من الكتب المقدسة . ومن الغرائب التي ذكرها المؤلف قولهُ صفحة ١٠٢ تحت موضوع الولادة عند العرب « وقد حكى لي احدهم ان امرأة بدوية كانت تحصد ذات يوم مع الحصادين واذ شعرت بدنو ساعتها وانفردت الى ناحية هناك ووضعت ابنها وخبأتهُ في كومة تبن . ورجعت الى شغلها من الحصيد كأنها لم تجر شيئاً . وعند المساء حملت وليدها بطاقة التبن الى بيتها »

الخرسانة المسلحة

اهدى الينا المهندس المعماري المشهور عزيز بك خلاط كتاباً هندسيًّا نفيساً في الخرسانة المسلحة عرض فيهِ لوجوه الموضوع النظرية والعملية وضمنهُ جداول مفيدة جدًّا مبنية على اتم التراسخ والاختبار الواسع لا بدَّ ان تصير مرجعاً للمهندسين وغيرهم من الذين يباشرون اعمال البناء بما تحتوي عليهِ من الفوائد الجزيلة

التربية بالقصص

تأليف حامد القصبي المهندس — صفحاته ٦٤ قطع صغير — طبع بمطبعة بنك مصر

الغاية من هذا الكتاب تهذيب الاطفال بمطالعة قصص تتضمن المبادىء الادبية العالية بحسنة فيفهمونها بدلاً من ان تساق اليهم مجردة في خطبة او عظة فلا يدركون ما يريدهُ الخطيب او الواعظ . وقد اشار المؤلف الى ذلك حيث يقول « . . . ذلك لاني في مطالعاتي في الكتب الانجليزية عثرت على عدد كبير من القصص التهذيبية التي تتضمن الحكمة والموعظة الحسنة في اسلوب شائق وعبارات خلابة يقصد بها الى تربية الناشئين تربية خلقية سهلة . فعوَّلت على ترجمتها لاعطي منها صورة واضحة لطالبات مدارسنا وطلابها . . . الخ »

ولما كانت الغاية من هذا الكتاب وما هو من قبيله وضعهُ بين ايدي الاطفال لمطالعته والاستفادة منهُ فيستحسن ان تكون محتوياتهُ خالية من كل لفظ خارج عن المألوف . واكثر القصص انكليزية والمانية وحبذا الحال لو اضاف اليها المؤلف بعض القصص المستقاة من مصادر عربية فللخلفاء وغيرهم من افاضل العرب قصص ونوادر توازي على الاقل نوادر « فردريك الكبير » و« سوفيت » و« جورج الثالث »

محاورات رينان الفلسفية

تأليف الفيلسوف ارنست رينان — ترجمة الاستاذ علي ادهم — صفحاتها ١٦٢ مطبعة النعمان

الاستاذ علي ادهم كاتب بليغ جزل الالفاظ صافي الديباجة حسن الاطلاع على المذاهب الفلسفية يسوق اليك مبادئها في غير كلفة او عناء . لذلك تفتح كتابهُ هذا لتقرأ جانباً من مقدمتهِ في سيرة رينان وفلسفتهِ — وانت تحسبها الجزء الذي لا يقرأ من الكتاب — فتسترسل في قراءتها لما تحتوي عليهِ من المعاني البديعة في اسلوب بليغ . ففي الصفحات التي يوازن فيها بين كارليل ورينان تقع على نموذج من كتابتهِ بلغ فيهِ حدَّ الاجادة معنىً ولفظاً

اما محاورات رينان فغنية عن الوصف لشهرتها ، وهي تحتوي على موجز لمعتقداتهِ الفلسفية في شكل محاورات لان المحاورة تسمح للانسان ان يتناول الوجوه المختلفة للمسألة دون ان تضطرهُ الى حكم جازم في الموضوع . وقد عني المترجم جهدهُ في تحري الامانة في النقل « لاني لم استطع ان اسيغ فكرة التصرف في الترجمة » . فالكتاب تحفة فلسفية ثمينة وعسى ان يكون لهُ بين الادباء والمفكرين المكانة التي يستحقها